



الفلاح والأمثال الشعبية

عايد أبو فردة/ الأردن

وكيفية اتّخاذها مرجعًا زمنيًا من سنة لأخرى، وكذلك توقعاته لخصوبة الموسم القادم أو جدبه، فنجد العديد من الأمثال الشعبية في هذا الخصوص:

”سنة الزّرزور أحرث في البور“: والزّرزور هو طير صغير رماديّ اللون يأتي مهاجرًا بعد قطف الزيتون (في شهري تشرين الأول والثاني) وفأله حسن عند الفلاحين، ويعني المثل عند قدوم طائر الزرزور احرث جميع أرضك وابدرها، حتى الصخريّة منها وغير المستصلحة؛ أي (البور).

”وسنة القطا بيع الغطا“: والقطا نوع من الحمام البرّي يأتي على بلادنا بكثرة في ”تشارين“؛ أي وقت البذار، فيأكل كثيرًا من الحَبّ المبدور، وقدومه فال سيّئ.

”سنة الحمام افرش ونام“: بمعنى المثل السابق.

كذلك المظاهر الطبيعيّة **”إن قوّست باكر أحمل عصاتك وسافر“**، **”إن قوّست عصريّة دور لك**

جَسَدَت الأمثال الشعبيّة حياة الفلاح بأدق تفاصيلها، وتداولتها الأجيال كنوع من الإرث الثقافي. وعلى مبدأ **”المثل ما خلّى شي ما قالو“**، فهناك أمثال كثيرة ترصد تغيّرات الطقس والفصول، رسّخت الشعور بالبرد والحرّ والمطر والثلج، وربطت الطقس بأشهر السنة، وهي كذلك شكّلت رزنامة شعبيّة زراعيّة للفلاح في ضوء غياب الراصد الجوّي والتنبؤات الجويّة، فكانت الأمثال تشكّل دليلًا لهم في التعامل مع الطقس ومتغيّراته، وقد لاحظتُ ذلك من خلال الكمّ الهائل من الأمثال الشعبيّة التي لم تترك شاردة أو واردة بهذا الخصوص إلاّ وصّحتها، فكان لكل شهر خصوصيّة المميّزة من الأمثال الشعبيّة والتي لا يتّسع المجال لسردها. لقد وظّف الفلاح كل ما يحيط به من متغيّرات، حتى في سلوك بعض الحيوانات والطيور، من خلال خبرته العمليّة وتطبيقاته في استقراء الأحوال الجويّة وربطها بحركة النّجوم وهجرة الطيور

عَ مَغَارَة دَفِيَّةٌ“. وهنا إشارة إلى قوس قزح. ومن المظاهر الطبيعيَّة الأخرى، ظاهرة **”النَّدى“**، وهو عبارة عن قطرات المياه المتكاثفة عند سطح الأرض، يضيء على الجوّ اللُّطف في الصيف، ويؤثِّر على عقد الثمار الصيفيَّة، إذ إنّ المزارعين يستبشرون بالنَّدى لزيادة المحصول وبخاصَّة محاصيل المقايي، وإذا كانت كميَّة النَّدى كبيرة يسمَّى **”ندى إغراق“**، أما إذا لم يوجد النَّدى فتسمَّى **”سموم“**، وعادة فإنَّ النَّدى يساعد على جني المحصول وبخاصَّة حصاد القمح والشعير، وقد كان للأغنية الشعبيَّة حضورها أثناء الحصاد، وفيها يخاطب الفلاحون النَّدى للحضور، طالين عدم تواجد السموم وهو الجفاف، بصورة شعريَّة جميلة:

**”يا عسافير النَّدى ما حدى منكم بدى
يا عسافير السموم ما حدى منكم يحوم“**
كذلك أهميَّة النَّدى لثمار الخضروات والفواكه؛ حيث يقول المثل الشعبي: **”تين مشطَّب عَ
النَّدى“**، ويؤثِّر النَّدى على عقد الزيتون: **”يا ربِّي
ندى مش سموم عند عقدك يا زيتون“**.

كما أنّ للنَّجم دورًا كبيرًا في استقرار الأحوال الجويَّة في قوله تعالى:

(وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) {النحل:16}

ومن الأقوال المأثورة: **”لن طلع سهيل لا تأمن
السَّيل لو أنه طال اللَّيل“**، **”ولن طلع سهيل
أوي الخيل“**.

وللرياح ومتابعة حركاتها عند الفلاح ضرورة ملحة، فيقولون: **”ما مطر بلا رياح وما قوم
بلا صياح“**، ويربط الفلاح بين طبيعة الريح وأثر

ذلك على المطر.

ويقولون: **”إنَّ هبَّتْ غربي يا سعد بالرتوبة“** وبالتالي يكون الجوّ ماطرًا، وفي مقابل ذلك، يقول الفلاح: **”إنَّ هبَّتْ شرقي يا طيعة ابني“**، لأنَّ الهواء الشرقيّ قادمٌ من الصحراء وخالي من الرطوبة، بل على العكس يجفِّف الأرض والزَّرْع، وهو بالتالي مؤثِّر على الجفاف وسوء الموسم. ويتخوَّف الفلاح أيضًا من الهواء الشمالي **”إنَّ هبَّتْ شمالي يا طيعة عيالي“**؛ فالهواء الشمالي بارد وغير ماطر وضارٌّ بالزَّرْع، بل الأهمُّ من ذلك أنّ الفلاح يعتقد بأنَّ **”ريح الشمالي يطرد المطر“**.

ومن الأمثال التي ترصد الرياح وتأثيرها:

**”إذا كان الهوا قبلي يا ملاتك يا عدلي، وإذا كان
الهوا شمالي يا حسرتكم يا عيالي“**، فإذا كان
الهواء قبلي (وهنا قبلي تعني من جهة القبلة أي
الجنوب)، فسوف يكون الموسم غللاً وستعبأ
الحبوب في العدول، والعدِل هو عبارة عن كيس
منسوج من الشَّعر والصوف ويتَّسع إلى شوال
ونصف ويسمَّى عند بعضهم **”فردة“**، وهنا
يكون قد أمَّن مونة البيت، أمَّا إذا كان الهواء
شماليًا، فهو يتحسَّر على ما سيؤول إليه أهله من
ضيق.

كذلك كانوا يعتمدون على اقتناء الحيوانات بحسب بداية شهر شباط وما يرافقه من رياح ويقولون: **”إذا كان أوَّل شباط هَوا شرقي بيع
البقر، وإذا كان أوَّل شباط هَوا غربي بيع التَّبن“**. ويعزون السَّبب لبيع البقر إلى أنّ الموسم سيكون جدبًا، ولن تنبت الحشائش التي يُعتمد

انفعالاته. وكذلك **“فلان مثل مطر كانون يُلْقِحُ”** وهذا له دلالة على أن المطر في شهر كانون يُلْقِحُ الأرض ويُستفاد منه للموسم الزراعي الصيفي **(البعلي)**، والتشبيه هنا للشخص على أنه إنسانٌ نافِعٌ ويُعتمد عليه ويُستفاد منه على المدى البعيد أيضًا ويأتي منه الفرج. كذلك الثلج **“إذا أثلجت أفرجت”**؛ حيث يعتبر الثلج هو ملح الأرض الذي لا غنى عنه للمزروعات الصيفيّة والبعليّة.

ولم تقتصر الأمثال على الأشهر، بل تعدّتها للفصول السنويّة، فنجد أمثالا كثيرةً قيلت في الفصول الأربعة وميّزت كل فصل عن الآخر.

فصل الشتاء يقسم إلى أربعينيّة وخمسينيّة

المربعاتيّة:

وهي الأربعون يومًا الأولى في فصل الشتاء، وتحديدًا هي الفترة الممتدة من 22 كانون الأوّل إلى 31 كانون الثاني، تسمّى في بعض المناطق **“الأربعينيّة”**، وتتمتاز هذه الفترة بالبرد القارص، وقد تسقط الثلوج فيها. وتقلّ الحركة في أيام الأربعينيّة وخاصة في الليل لاعتقاد الناس السائد، بحسب تجاربهم، أن **“المربعاتيّة حسب ما دخلت عليه”**؛ فإن كانت بدايتها شتاءً فستستمرّ كذلك، وإن كانت بردًا دون شتاء فستستمر أيضًا حتى نهايتها على هذا المنوال، ويضعون لها احتمالين لا ثالث لهما:

“المربعاتيّة يا بترّيع يا بتقبّع”، **“المربعاتيّة، يا شمس تحرق يا مطر تغرق”**، **“المربعاتيّة،**

عليها في الرّعي، ولكن إذا كان أوّل شباط هواءً غريبًا فلا داعي للاحتفاظ بالتّبن لأنّ الموسم سيكون غلاّلاً، وبالتالي سيستغنون عن التّبن وستوفّر طعام مواشيهم نتيجة الخصب. وكثيرة هي الأمثال التي يستند إليها الفلاحون عن طريق حركة الرياح لتحديد هويّة موسمهم.

“إن هبّ المصري يا كبر قرصي.. وإن هبّ الشمالي يا قطيعة عيالي”؛ هبّ المصري أي جاءت الرّياح من جهة مصر.

“بارك الله في السنة اللي أولها غربي وآخرها شمالي”

“الرياح الشماليّة عطب والغربيّة رطب والقبليّة حطب والشرقيّة غضب”

“الشرقي عقيم والغربي رحيم”.

كما استُخدمت بعض الأمثال لأغراض اجتماعيّة من حيث وصف بعضهم لصفات تلك الأشهر، على سبيل المثال: **“فلان مثل شباط، ما عليه رباط”**؛ أي أنّك لا تستطيع المراهنة عليه، فهو متقلّب كشهر شباط، فكانوا يقولون: **“امشي على غير كانون ولا تمشي على نقا شباط”**، فنجد أنّ صورة شهر شباط في المأثورات الشعبيّة على أنه غير محدّد الهويّة والملامح، فمن الممكن أن يكون هذا الشهر باردًا وماطرًا، ومن الممكن أن يكون مشمسًا.

ومن الأمثال أيضًا **“أبرد من ميّة كانون”** والمقصود بهذا المثل هو أمران، أولهما تجسيد شدّة البرد في شهري كانون الأوّل وكانون الثاني اللذين تهبط فيهما درجات الحرارة إلى أقل مستوياتها، والأمر الثاني هو وصف برودة أعصاب شخص ما وقلة

يا بتشرق يا بتغرق". كذلك يطلبون النجاة من برد الأربعينية وخطورتها "يا رب نجينا من نزلة المربعانية"، كما يهتمون بغذائهم "في المربعانية بطولوا العنبيّة من البريّة"؛ العنبيّة هي مربّى العنب، والبريّة وعاء من الفخار تُحفظ فيه العنبيّة، فهم بحاجة إلى أكل السكريّات لتوفّر الدفء لهم.

وتدلّ هذه الأمثال على أهميّة أمطار كانون والأربعينية، فهي من تحدّد مصير الموسم الزراعي، فإن كثرت الأمطار في الأربعينية جاء الموسم ناجحاً، وإن شحت الأمطار جاء الموسم سيئاً، ويُقال إنَّ أوّل يوم في الأربعينية هو الذي يحدّد وجهة الموسم.

وبعد انتهاء الأربعينية، يبدأ موسم اللوز في شهري شباط وآذار، فيملأ المكان ببياضه المدهش، ويقول المثل الشعبي: "يا لوز يا مجنون بتزهر في كانون"؛ أي أنّ اللوز أوّل من يُزهر بين الأشجار، ويذكر بتجدّد الحياة في الشجر واقتراب موسم الربيع.

خمسينيّة الشتاء

القسم الثاني من فصل الشتاء يسمّونه (الخمسينيّة) ومدّتها خمسون يوماً تبدأ من اليوم الأوّل في شباط، وتستمرّ حتى 21 آذار، وهذه الخمسينيّة تقسم إلى أربعة أقسام متساوية، كل قسم منها اثنا عشر يوماً ونصف اليوم، وسمّيت (السعود الأربعة)، وهي:

سعد ذابح: من 1-13 شباط، وهي فترة تتسم بالبرد الشديد، فيقول المثل: "سعد ذابح ما بخلي كلب نابح"، "إن سعد ذبح ربح، وإنّ

ما ذبح ما ربح"، "بسعد ذبح ما كلب نبح"، "بسعد ذبح لا راع سرح ولا فلاح فلاح"...
سعد إبلع: من 13-25 شباط، وهو كناية عن أنّ الأرض في تلك الفترة تبتلع ما يسقط عليها من أمطار نتيجة ابتداء ارتفاع درجة الحرارة. "السما بتشتي والأرض تبتلع"، "سعد بلع بلع كل ميّة الأرض".

سعد السعود: من 25 شباط إلى 9 آذار، حيث تزداد درجة الدفء وتذبّ الحياة في النباتات، "في سعد السعود بتمشي الميّة في العود"، "بأول سعد سعود بترتجف القروود وبآخره بيدفا كل مبرود".

سعد الخبايا: من 9-21 آذار، حيث تهض الزواحف وذوات الدم البارد التي كانت في فترة السبات الشتوي، "في سعد الخبايا بتطلع من الأرض الحيايا"، "بسعد الخبايا اشلح الفروة والبس العبايا"، "بسعد الخبايا بتفتّل الصبايا وبتطلع العنقا والبنقا وأم قرون".

كما يتخلّل خمسينيّة الشتاء ما يسمّى "المستقرضات".

المستقرضات:

خلال فترة "سعد السعود" تأتي "المستقرضات" وتسمّى "أيام العجائز" و"مستقرضات الروم" ومدّتها سبعة أيام، أوّلها في السادس والعشرين من شباط وآخرها في نهاية الرابع من آذار، فهي ثلاثة من شباط وأربعة من آذار، وإذا كانت السنة كبيسة، فتكون "أيام العجائز" أربعاً من شباط وثلاثاً من آذار.

أي يطلب شباط من آذار أن يعطيه أربعة أيام

باردة، يضيف إليها ثلاثاً، ليجعل العجائز تنن من شدة البرد.

”بالمستقرضات عند جارك لا تبات“، ”لا تقول خلصت الشتوية حتى تخلص المستقرضات المنكية“، ”مالك طرش يقوم إلا بعد مستقرضات الروم“؛ ”الطرش“ ما يملكه الفلاح من ماشية وأغنام.

حكاية العجائز:

في صباح 25 شباط استيقظت عجوز أعرايية فوجدت الطقس صافياً ودافئاً، وبدأ الحر يدب في الأرض والهواء، فقالت لأعرابها: **”راح شباط وحشنا في قفاه مخباط“**، والمخباط قطعة خشبية غليظة وطويلة وثقيلة يضربون بها الصوف لتنظيفه، وأمّرت قومها بحلّ الخيام والتّزول إلى الوادي المجاور.

أحسّ شباط بالإهانة، فاستجد بأخيه شهر آذار (شهر 3) فقال له: **”يا اخوي يا إيدار أربعة منك و ثلاثة مّي خللي واد العجوز يغّي“**، فظلت الدنيا ترعد وتمطر أسبوعاً كاملاً، وسالت الوديان التي جرفت العجوز وفراشها وأغنامها، فأخذت تخاطب الوادي وتقول: **”يا سيل على مهلهن جبّل لتطرح بهمهن“** واضطّرت للعودة إلى المشتى وحرقت المخباط كي تتدقاً.

فصل الربيع

يعتبر من أجمل الفصول التي ينتظرها الفلاح ليمارس فيها نشاطاته. ويشبه الربيع نشأة الحياة والولادة والبعث والخلاص أيضاً، فبعد البيات الشتوي وتوقّف الحياة تعود الحياة من جديد، وقد تكون فرصة نادرة لا تتكرّر لالتقاط طاقة

الحياة المنبعثة، وعلى الرّغم من هذا، فإنهم كانوا يحذّرون من شمس الربيع ويحذّرون أيضاً من برد الربيع؛ **”شمس الربيع تؤذي الرضيع“**، **”برد الربيع بقطع الأصابع“**، **”برد السبل بسطح الجمل“**، والسبل نسبة لسبل القمح وموسمه الربيع.

ومن الأمثال الأخرى:

”الربيع يعدل عوج العراقيب“، (عوج العراقيب هي الجمال).

”في الربيع يكون السمن نقيع“، (أي يكثر السمن البلدي).

”لولا الربيع ما جنت الأرملة قطيع“.

”الي بخاف من شتى الربيع عمره بضيع“.

فصل الصيف

يعتبر الصيف البساط الواسع للفلاح، والفرصة التي يلم فيها غلاله ليوفّر تموين الشتاء من خلال جني المحاصيل وتصنيع المأكولات لتخزينها لأيام الشتاء، فيترك الفلاح بيته وينطلق للحقول والبساتين طيلة أيام الصيف ويسمونها **”أيام القيط“**، كما يطلقون على شهري تموز وآب **”قيظ أول“** و**”قيظ ثاني“**، ويرتبط اسم الصيف بالالتساع مثلما يرتبط اسم الشتاء بالضيق، ويقول الناس: **”الصيف كيف والشتا ذيق لو أنه فرج“**. ويسمّي الناس أواسط الصيف باسم **”الصيف لحر“**، إشارة إلى أنه حار وقاظ مثل جهنّم الحمراء، وعلى الرّغم من هذا فإنهم يحذّرون من برد الصيف **”برد الصيف أحدّ من السيف“**، وهم يعتبرون أنّ البرد سبب كل علة، ومما قالوا أيضاً:

والثاني "أجرد أول" و"أجرد ثاني" كون الشجر يتجرّد من أوراقه، وكانوا يعولون على هذين الشهرين "الي ما بحرث في الأجرد عند الصليبه يبحرد" وذلك للحصّ على حراثة الأرض في شهر تشرين، وكان الفلاحون يقضون أيام الصيف في كرومهم وبساتينهم يجهّزون تموينهم للشتاء، ومع أول شتوة، والتي كانت عادةً تأتي في أواخر شهر أيلول متزامنة مع عيد الصليب، يعودون إلى بيوتهم في القرية أو المدينة، والمثل "إن أجا الصليب روجّ يا غريب"، و"إن صلّبت خربت". عيد الصليب في 27 أيلول بحسب التقويم الغربي، ونادرًا ما يمرّ هذا العيد دون هطول المطر، وهو بداية الموسم الزراعي، ويطلق أهل الريف عليه اسم "أبو الشراقي"، لكثرة هبوب الرياح الشرقية فيه، و"إن صلّبت الصليب لا تأمن الصيب". كما يحذّرون من برد الخريف أيضًا؛ "برد الخريف توقاه.. وبرد الربيع تلقاه"، كذلك عدم التعرّض للهواء في الخريف "هوا الخريف بخلي القوي ضعيف" ■

• "بساط الصيف واسع".

• "حر الصيف ولا برد الشتاء".

• "الدّفا عفا ولو كان في الصيف".

• "في الصيف ثقّل غطاءك وخفّف فراشك".

• "الصيف كيف والبرد شدّة والربيع ينبوع".

فصل الخريف

مع هطول أولى مراحل المطر التي يحبّها الفلاح، يبدأ (الموسم البدري)؛ أي الموسم الزراعي، وقد يسمّى "شراقي الخريف" والمثل "صلّب وخش وخمس واطلع" يعني أنّ شهر الصليب بدايات الخريف، وشهر الخميس (نيسان) بوّابات الصيف. حيث التسميات المختلفة للأشهر عند الفلاحين، فشهر أيلول يسمّى "شهر الصليب" نظرًا لعيد الصليب عند الأخوة المسيحيين، حيث أول شتوة ينتظرونها في شهر أيلول "أيلول طرفه مبلول"، كذلك شهر نيسان يسمّى "الخميس" كون كل يوم خميس فيه مناسبة يحتفلون بها في هذا الشهر. كما أطلقوا على شهري تشرين الأول

